بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، فضَّل شهر رمضان على غيره من شُهور العام، خصَّه بمزيدٍ من الفضل والكرم والإنعام، وأشهدُ أنَّ لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، في ربوبيتـه وإلهيتـه وأسـمائه وصـفاته ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أفضل من صلى وصام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلم تسليماً كثيرا، أما بعد:

أيها الناس، اتقوا الله تعالى، واشكروه إذ بلَّغكم شهر رمضان، وسَلُوه أن يُعينكم في هذا الشَّهر على اغتنام أوقاتِه بالطَّاعَات والخيرَات، فإنَّـه مَوسِمٌ عظيمٌ، ووافد كريمٌ فضَّله الله سُبحانه وتعالى فقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة:185].

فهذا الشهر خيرٌ كُلّه، أيامه ولياليه، ساعاته وأوقاته، ولكن الشأن فينا نحن بـماذا نستقبل هذا الشهر؟ وبماذا نقضي أوقاته المباركة؟ فالشهر شـهرٌ عظيم، ولكـن المشكلة عندنا نحن في أنفسنا، فلنعرف قدر هذا الشهر ولنستقبله بالبِشْر والسُّرور قد كان النبي ﷺ يُبشِّر أصحابَه بقدومِه، قال: «أيُّها النَّاس قَدْ أظلَّكُم شَهْرٌ عَظيمٌ مُبارَكٌ، جَعَل اللهُ صِيامَهُ فَريضَةً، وقِيامَ لَيلِه تَطوُّعًا»، وذكر له فضائل كثيرة:

فأول فضائل هذا الشهر: أنَّ الله أنزل فيه القُرآن أي ابتدأ إنزال القرآن في هذا الشهر وذلك في ليلة القدر كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:1]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:3]، فابتدأ بإنزال القرآن على محمد ﷺ في شهر رمضان ثمَّ تتابع نُزوله على النبي ﷺ مُفرَّقاً حسب الوقائع والنَّوازل إلى أن أكمله الله عند وفاة النبي ﷺ حينما أنزل الله عليه قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:3]، ولذلك كان النبي ﷺ يخصُّ هذا الشهر بتلاوة القرآن أكثر من غيره، وكان صحابته والمسلمون من بعدهم يُقبلون على تلاوة القرآن في هذا الشَّهر العظيم، فهو شهرُ القرآن، وهو شهرُ الصِّيام، فالله جلَّ وعلاَ جعل صيامه فريضةً وركُناً من أركان الإسلام ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾، النبي ﷺ جعل

صيام رمضان من أركان الإسلام الخمسة قال ﷺ: **«بني الإسلام على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا»**، فيجب على كُلِّ مُسلم مُقيم أن يصوم هذا الشَّهر من أوله إلى آخره أداءً في وقته، أمَّا من كان معذُوراً بسفَر أو بمرَضٍ فإنَّه يُفطِر أيَّام سفره وأيَّام مرضِه على أن يقضي ما أفطرَه من أيامٍ أُخر.

والنَّبيُّ ﷺ شرَع لنا وسَنَّ لنا قيام ليلِه فقال ﷺ: **«مَن قَامَ رمضَان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»**، وقال ﷺ: **«مَنْ قَامَ ليلَةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم مِن ذنبه»**، وقد جاء ما يُفسِّر قيام رمضان بقوله ﷺ: **«مَنْ قَامَ معَ الإمَام حتَّى ينصَرفَ كُتبَ لَهُ قيامُ ليلة»**، فقيام رمضان فيه فضلٌ عظيمٌ، يُكفِّر الله به الذّنوب، **«مَنْ قَامَ رمضَانَ إيمانًا واحتسابًا»**، إيماناً وتصديقاً به وبفضله واحتساباً لأجره فإنَّ الله يغفر له ما تقدَّم من ذنبه، وذلك بالذُّنوب الصغائر، أما الذُّنوب الكبائر فإنها لا تُكفَّر إلاَّ بالتَّوبة ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾، قال ﷺ: **«الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارةٌ لما بينهن إذا اجتُنِبَت الكبائر»**، وأصحابُ الكبائر متى تابوا إلى الله قَبِلَ الله توبتهم وغفر ذنوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، ولكن في شهر رمضان تتأكَّد التَّوبة والاستغفار، فعلى كل مُسلم أن يحاسب نفسه وينظر في أعماله ليدخل في هذا الشهر وقد طهَّر نفسه من الذنوب حتى يدخل فيه بنفسٍ نقيَّةٍ حتى يتفرَّغ لعبادة الله سبحانه وتعالى.

ومن فضائل هذا الشهر: أنَّه تُفتح فيه أبواب الجنان، وذلك بتيسير الأعمال الصالحة وتسهيلها على أهل الإيمان، لأنَّ الجنَّة إنَّما تُحَصَّل بالأعمال الصالحة، فالله يفتح أبواب الجنان لأجل أن يتسابق المسلمون إليها بالأعمال الصالحة، وهي في هذا الشهر متوفرة وميسرة لمن يسره الله له، وتُغلق فيه أبواب النِّيران وذلك لأن المسلمين يتوبون إلى الله ويستغفرونه فينجون من النَّار، لأنَّ الأعمال السيئة سببٌ لدخول النَّار، فالله جلَّ وعلا يُغلقها عنهُم في هذا الشَّهر بمعنى أنَّه يسَّر لعبادِه التَّوبة والاستغفار وترْكَ الذُّنوب والمعاصِي حتَّى ينجُو من هذه النَّار، وهذا الشهر يُغَلّ فيه الشَّيطان فلا يتمكّن من إشغال المسلمين عن دينهم، كما كان يفعل ذلك في غير رمضان، ففي رمضان: الله جلَّ وعلا يمنعُه عن عباده المؤمنين لا يوسوس لهم، ولا يشغلهم، ولا يصدهم عن الأعمال

الصَّالحة، ولهذا تجد المسلمون ينشطون في هذا الشهر ويُقبلون على الأعمال الصَّالحة أكثر من غيره عن رغبة وطواعية لأنَّ الشيطان لا يتمكن مِنْ إشغالِهم وصَدِّهم عن الأعمال الصالحة وهذا شيءٌ مُشاهد، فإنَّ إقبال النَّاس على العبادة في هذا الشهر دليلٌ على أنَّ الشيطان قد مُنِعَ من أن يحول بينهم وبين الطاعات لكنَّه يسلط على أولياءه، فالله جل وعلا مَنَعَ حزبَه وجُندَه من أن يتسلَّط عليهم الشَّيطانُ قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص]، فعباد الله المخلصون ليس للشيطان عليهم سبيل لاسيما في رمضان، أمَّا جنده وحزبه فإنَّه مسلَّطٌ عليهم في كُلِّ وقتٍ ويزداد شَرُّهُ في هذا الشهر كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾ [الإسراء].

ولذلك تجد أهل الشرّ يُعِدُّون العُدَّة لهذا الشهر ويخططُون البرامج الهابطة والمسلسلات المضحكة، وأنواعاً من اللهو واللعب، يُنوِّعُونه في هذا الشهر من أجل أن يصدُّوا النَّاس عن الطاعة ويشغلوهم باللهو واللعب والمعاصي.

تيسَّرت لهم السُّبل في الإذاعات والمحطات والانترنت وغير ذلك، أكثر ممن سبق وهذا خطرٌ عظيمٌ، يجب على المسلم أن يحفظ نفسه وأن يحفظ أهل بيته وأن يُطهِّر بيته من هذه الوسائل الشريرة وهذه البرامج الهابطة، وحتى متابعة الإذاعات ومتابعة الفضائيات، حتى ولو كانت فيها خير فإنها تشغل عن الذهاب إلى المساجد ومشاركة المسلمين في صلوات النوافل والفرائض وتلاوة القرآن، فتجدهم يتابعون هذه البرامج في أوقاتها وربما يتأخرون عن صلاة الجماعة متابعةً لها، فالمسلم يُغلِقُ هذه الأبواب دائماً، وفي شهر رمضان آكد، ولا يُشغِل نفسَه ولا يُشغِل أهلَ بيته ويُشغِل زوَّارَه بهذه البرامج التي أقلّ أحوالها – إن كان فيها خير – أنها تشغلُ عمَّا هو أهمّ منها، فكيف إذا كانت كلها شرٌّ؟! وكلها دسائس شيطانية؟! فعليكم أن تتنبهوا فإن أعوان الشيطان وجنده يتسلَّطون في هذا الشهر ويُنوِّعُون البرامج من أجل أن يجذبوا النَّاس إليها ويشغلُوهم بها عن دينهم ودُنياهم وعن آخرتهم وعن شهرهم فلنتقي الله، ولنحذر من هذه الشَّواغل وهذه الأمور حتى أمُور الدُّنيا، حتَّى طلب الرزق الذي لا يحتاجه الإنسان، طلب التجارة، ينبغي للمسلم أن يخفِّفه في هذا الشهر وأن يصرف جُلَّ وقته في طاعة

الله سبحانه، **وطلب الدنيا له وقت آخر وهذا الوقت يفوت**، **وأمَّا طلبُ المال والكسب فهذا لا يفوت**، فعلى المسلم أن يتنبه لذلك، كذلك هؤلاء يشغلون المسلمين بالمسابقات وما أدرك ما المسابقات يجعلون فيها دراهم والدراهم تجذب القلوب فتجدهم يتابعون هذه المسابقات ويشغلون أوقاتهم فيها ربما يحصل على شيء من الدراهم وربما لا يحصل على شيء، ولو حصل على ملايين من الجوائز فإنها لا تعادل حسنة واحدة في هذا الشهر المبارك، فعلى المسلم أن يتسابق في الخيرات، وأن يسابق إلى الجنات ويسارع إلى الطاعات، وأن يترك هذه الأمور ولا يشغل نفسه بها أو يشغل أولاده أو أهل بيته بها فإنها صوارف إنها ضياعٌ للوقت والعمر إنها ضياع لهذا الشهر العظيم.

فلنتقي الله، أيها المسلمون، هذا الشهر شهرٌ عظيمٌ، كُلّهُ خيرٌ، كُلّهُ بركةٌ، نهارُه صيامٌ وليله قيامٌ وذكرٌ لله سبحانَه وتعالى، فالمسلم إمَّا أن يشغلَ وقتَه دائماً في الفرائض والنوافل والطاعات أو يستريح بالنَّوم لينشط على العبادة، والنوم الذي بمقدار، أمَّا الذي ينام يسهر الليل على القيل والقال والأكل والشرب والملذات ثمَّ ينام النَّهار كُلَّهُ ويقول أنا صائم، هذا من العجائب!! صائمٌ يترك الصلوات! يترك الفرائض! لا يصلي مع الجماعة! لا يتجه إلى المساجد! هذا صائم؟ الصيام ليس عن الأكل والشرب فقط، الصيام إنما هو إمساكٌ عن كُلِّ ما حَرَّم الله سُبحانَه وتعالى، ومِن أعظمِ ذلكَ إضاعةُ الفرائِض عن أوقاتِها، فعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذا الأمر، فشهرُ رمضان ليس شهرًا للكسل والأكل والشُّرب إنَّما هو شهرٌ للطَّاعة والجدِّ والاجتهَاد في القول العمل، ولا مَانع أن يأخُذَ الإنسانُ قِسطاً من الرَّاحة لا يُفوِّتُ عليه خيراً، لا يفوِّتُ عليه صلاةَ الجماعَة، لا يفوِّت عليه المشاركة في الخير، بل يجمع بين ما يُريحُ جسمَه وما يحيي قلبَه ورُوحه وفِكْرَه بذكرِ الله سُبحانه وتعالى، هذهِ فرصةٌ، والفُرصُ لا تدُوم، وشهرُ رمضَان ربَّما لا يتكرَّر عليك مرَّةً ثانية، فيكونَ هذا الشَّهر ختاماً لحياتك، بل تختمها بخير ختام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة].

أيُها الناس، يُنادي منادي كُلَّ ليلةٍ من ليالي شَهرِ رمضان: **(يا باغي الخير أقبِل، ويا باغي الشَّر أقصر)**، ولله عُتقَاءُ من النَّار وذلك في كل ليلة.

(يا باغي الخير أقبل) هل أحد لا يريد الخير؟ كلّنا يريد الخير، كلّ النَّاس يريدون الخير، لكن الشَّأن لا يقتصر على الإرادة لابد من العمل، فإذا أردت الخير فاعْمَلْ ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء]، فإذا أردت الخير فاعْمَلْ، اعمل الخير ولا يكفي الإرادة فإن في الحديث: **"العاجز من اتبع نفسه هواها وتمن على الله الأماني"** [ضعَّفة العلاَّمة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة 5319]، فالأماني لا تنفع والإرادة وحدها من دون عمل لا تنفع.

(يا باغي الخير أقبل) أقبل على الله بالطاعات، أقبل على الله بالقربات، وأول ذلك المحافظة على الفرائض في أوقاتها ثمّ بقية الأعمال بادر بها، نوِّعها، اشتغل بها، فإنَّك بحاجةٍ إليها عما قريب، واللهِ عمَّا قريبٍ ستحتاج إلى الحسنة الواحدة حينما يحضرك الأجل ويختم العمل وتتمنى الرُّجوع لعمل صالحاً فلا تتمكَّن من ذلك، فأنت الآن في زمن الطلب وفي زمن الأمنية، وقد أهلَّ الله عليك هذا الشهر فبادره بالطاعات والقربات

(يا باغي الخير أقبل) أقبل على الله وأعرض عما سواه، أقبل على الله بالطاعات والقربات والصدقات وفعل الخيرات، أقبل بكل أنواع الإقبال على الله فإن الله مقبل عليك سبحانه وتعالى ويتقبل منك القليل والكثير ويضاعف لك القليل أضعاف كثيرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء]، فأقبل على الله بكل أنواع الإقبال فإن الله مقبل عليك ما دمت مقبل عليه، أما إذا أعرضت عن الله فإن الله جلَّ وعلا يعرض عنك فهو غنيٌّ عنك وأنت الفقير المحتاج إليه.

(ويا باغي الشر أقصر)، يا من يريد إضلال الناس وإغواء الناس وإفساد الناس، يا من يريد إشغال الناس بالملاهي والمعازف والمزامير، يا من يريد إشغال الناس بالتمثيليات والخزعبلات، يا من يريد إشغال الناس بالمضحكات والملهيات أقصر، أقصر إخسر إخسأ عدو الله فإنَّك مهزومٌ وإنَّك مغبُونٌ وإنَّك مطرُودٌ، فعليك أن تعرف قدر نفسك ولا تشغل المسلمين.

(يا باغي الشر أقصر)، أقصر عن الشر فإن لم تقصر فستقصر بأمر الله سبحانه وتعالى وستخصر يوم لا ينفعك الندم.

فاتقوا الله، عباد الله، وبادروا بالخيرات ما دامت ممكنةً لكم وميسرةً لكم فإنَّ الفُرَصَ لا تدُوم وإنَّ الحياة زائِلةٌ وإنَّ العملَ باقي على خيره أو شره.

المصدر: خطبة جمعة مفرغة من الموقع الرسمي للشيخ صالح الفوزان وفقه الله (بتصرف)



شهر القرآن، شهر التوبة و الغفران

معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

